

" وأخذ يسير معهما... ويشرح لهما الكتب" (لوقا 24: 15-27)

ما أجمل تلك الكلمات التي رطبت قلب التلميذين الحزينين، السائرين من أورشليم إلى عمّوس، بعد هول أحداث الجمعة العظيمة! في تلك المسيرة الرائعة، كلّ شيء ابتداءً، حين شرع يسوع يسير معهما، مع أنّ أعينهما قد أمسكت عن معرفته. وبدأت الأمور تتضح أكثر وأكثر، حين سألهما، بماذا تتجادلان وأنتما تسيران مكتئبين؟ (لوقا 24: 17)، إنّه السؤال الجواب! سؤال عن سبب الحزن، وبدء الجواب عن معنى الرجاء. وكأنّ ربّنا، يريد أن "يسحب" منهما ما يحضّرهما لسماع كلامه فينير بالتالي عقلمهما، "هل أنت وحدك غريب عن أورشليم؟" (لوقا 24: 18) هذا سؤال الجواب على سؤاله! نعم، إنّه الغريب الوحيد عن غربتهما! إذ سيكتشفان أنّهما هما الغريبان عن أورشليم الحقيقيّة، وقد "أمسكت أعينهما عن معرفته" (لوقا 24: 16).

عندئذ، وفي قلب هذه "الغربة" أفرغ ما في جعبتهما. وبعد أن "شرح لهما ما في الكتب" (لوقا 24: 27)، تعلّق به من عمق حيرتهما. وما عرفاه إلاّ عند كسر الخبز.

أين هو ذاهب لأنّه "الطريق والحقّ والحياة" (يوحنا 14: 6)، يأخذنا معه إلى حيث "يعدّ لنا مكاناً" (يوحنا 14: 2). ولكن أترانا نسمعه يسألنا "ما الذي يحزنكم؟"، وهلاً تركناه يصغي إلينا بحبّ واهتمام، ويسألنا؟ ألم نشعر أنّه يحبّ أن يسأل؟ ألم يسأل تلاميذه: "من هو ابن الإنسان في نظركم؟" (لوقا 9: 20). ألم يسأل فيليبس لماذا لا يرى من خلاله الأب؟ ألم يسأل والدته: "ما لي ولك يا امرأة" (يوحنا 2: 4). ألم يسأل الأعمى "ماذا تريد أن أصنع لك؟" (مرقس 10: 51). وحين كان يجادل الفريسيين ألم يبادر إلى طرح الأسئلة عليهم مرارًا ومرارًا. إنّه كثير الأسئلة! ربّما لأنّه يحبّ أن نفرغ أجوبتنا علنًا نملؤها من كلامه!

"ربّي أين تقيم؟" كان جواب أوّل تلميذين على سؤاله "ماذا تريدان؟" في مطلع رسالته التبشيريّة (يوحنا 1: 38). ربّي أين تقيم؟ إنّه يقيم في كتابه المقدّس! نعم، لذلك يريد أن يشرح لنا الكتب! لأنّه هناك يقيم ويرتاح. ألم يقل يومًا " اذهبوا وتفحصوا الكتب، تجدون أنّها عنّي قد تنبأت" (يوحنا 5: 39)؟ وقد ردّد بولس الرسول أنّ "كلّ ما كتب، إنّما كتب من أجل تعليمنا" (روما 15: 4). ليتنا ندرك، دائمًا، أنّه يقيم في هذه الصفحات الصغيرة، فنرجع إليها مرارًا، "لنتعشّى معه، وهو معنا" (رؤيا 3: 20).

أيها الربّ يسوع القائم من بين الأموات، مسافرين نحن إليك ولكننا لسنا وحدنا في سفرنا، فأنت معنا إلى نهاية العالم، على ما وعدت، الكلمة التي توقد القلب وتنعش الروح وتعزّي في الشدائد، والزيد الذي يقوت ويعطي الزخم لسفرنا والطاقة لشهادتنا وإكليل الفرحة عند الوصول. علّمنا، ربّ، أن نتشوّق إلى كلامك – مكان اقامتك – فيضطرم قلبنا في صدرنا (لوقا 24: 32)، ونرفع الغشاء عن عقولنا (لوقا 24: 25) فنندرك أنّ ما سحرنا من أباطيل هذا العالم وأبعدنا عن كلامك، ليس إلاّ سرايب وخداع. حينئذ نتعلّق بك كتلميذي عمّوس، ونعرفك، إذ نقودنا إلى كسر خبزك (لوقا 24: 35)، في وليمة الإفخارستيا، حيث تواعدنا في لقاء دائم ورائع. وحينئذ، نعرف أنّك أنت، حقًا، من حدّثنا على طرقات حياتنا! فننطلق في بشارة جديدة إلى أورشليم جديدة، نعلن فيها أنّك قائم ومنتصر على الموت والخطيئة، ونجعل من درب عمّوس دربنا، كلّ يوم، ونندرك القوّة المكنونة في كتبك المقدّسة. آمين.